



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

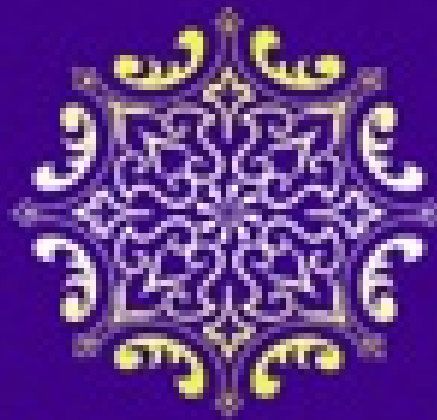
www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الجمهورية العربية السورية
مكتبة جامعة دمشق

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢٠٠٠)

الموعظة في نهج البلاغة

إعداد: مكتبة الروضة المحمدية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الموعظة في نهج البلاغة

كاتب:

مكتبة الروضة الحيدرية

نشرت في الطباعة:

العتبة العلوية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
7	الموعظة في نهج البلاغة
7	هوية الكتاب
7	اشارة
11	تمهيد
13	1- أهمية الموعظة
15	2- ثمرة الموعظة
17	3- شرائط الواعظ
20	4- أسباب قبول الموعظة
22	5- موانع قبول الموعظة
25	6- نتيجة ترك الموعظة
26	7- أنماط الموعظة
26	اشارة
26	1 - المواعظ العقائدية:
29	2 - المواعظ الأخلاقية
29	اشارة
30	1- الإسلام
30	2- القرآن الكريم
31	3- الدنيا
42	4- الموت
51	5- القبر
58	6 - القيامة
65	7- الاتعاظ بالآخرين أو الاعتبار منهم

66	8 - التقوى
70	9 - الطاعة و العبودية
75	10 - ترك الذنوب والآثام
79	3- المواعظ السياسية:
79	اشارة
80	أ - العدل في السيرة
81	ب - المواساة
81	ج - الاعتماد على أهل الطاعة
81	د - الاهتمام بالطبقة السفلى
82	هـ - الستر على عيوب الناس
83	و - الوفاء بالعهد
83	ز - الاهتمام بدماء الناس و أعراضهم
84	د - العمل بالشدة واللين
84	ط - قضاء حوائج الناس
85	ي - تفقد أحوال الولاة و معاقبتهم عند الخيانة
85	4 - المواعظ الاجتماعية
85	اشارة
85	أ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
86	ب - لزوم الجماعة
88	ج - لزوم العشيرة
89	د - التواصل
89	هـ - ضوابط الصداقة
90	و - التحذير من الفتن
92	محتويات الكتاب
95	تعريف مركز

الموعظة في نهج البلاغة

هوية الكتاب

الموعظة في نهج البلاغة

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

إخراج فني: زينب جواد

عدد النسخ: 1000 نسخة

السنة: 1433 هـ / 2012 م

العتبة العلوية المقدسة، العراق. النجف الأشرف

هاتف: 07802337277 (00964)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني:

info@haydarya.com

ص: 1

إشارة

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة - 20

الموعظة في نهج البلاغة

إعداد مكتبة الروضة الحيدرية

ص: 2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص: 4

الموعظة والنصيحة والإنذار والتذكير وإن اختلفت من حيث المعنى اللغوي، لكن ثمرتها ومؤداها، واحد، وهو نداء وحثّ روحاني

يعلو بالإنسان نحو الكمال، ويدعوه إلى ترك ما عليه من سوء وغفلة، وعدم الخروج عن الغاية والهدف من الخلق.

لذا نرى هذه الألفاظ وما يؤدّي مؤداها وردت كثيراً في القرآن الكريم والسنة الشريفة وروايات المعصومين عليهم السلام، وأقوال العلماء، حتى جعل التذكير أحد أسباب بعثة الأنبياء والرسل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واصطفى سبحانه من ولده [أي ولد آدم عليه السلام] أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول ... الخطبة 1.

ولأهمية الموعظة في تقويم سلوك الإنسان، ولا ممتياز كتاب (نهج البلاغة) بمواعظ شافية ونصائح كافية لطلاب الحق والحقيقة، خصصنا هذه الحلقة من (سلسلة في رحاب نهج البلاغة) بما يخص الموعظ الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب الشريف، عسى أن يكون نافعاً، إن شاء الله تعالى.

ورتبنا البحث ضمن النقاط التالية:

ص: 6

1- أهمية الموعدة

لأهمية الموعدة في حياة الإنسان أمر الله تعالى نبيه بأن تكون دعوته مقترنة بالموعدة الحسنة، فقال عز وجل: (وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) النحل: 125.

وكان الله تعالى هو أول واعظ للإنسان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام «فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته، ووعظكم برسالته» الخطبة: 198.

وقال عليه السلام: «انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله، وأقبلوا نصيحة الله، فإن الله تعالى قد أعذر إليكم بالجلية، واتخذ عليكم الحجة، وبيّن لكم محابه من الأعمال ومكارهه منها، لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه» الخطبة: 176.

ولأهميتها أيضاً أوصى عليه السلام الإمام الحسن وقال له: «أحي قلبك بالموعدة بل لم يكتف بذلك وأمره أن يتعدى بالموعدة - بعد موعدة

نفسه - إلى غيره فقال له: «وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة» الكتاب: 31.

وكان عليه السلام يدعو المجتمع الإسلامي أن يعيش حالة التناصح

ص: 7

فيما بينهم، فكان يقول عليه السلام: «لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا يحبون النصح» (1) وقال عليه السلام: «من أحسن الدين النصح» (2).

كما كان عليه السلام يدعو إلى الانتفاع بالمواعظ والأخذ بها ويقول: «فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع، واعتبروا بالآي السواطع، وازدجروا بالندر البوالغ، وانتفعوا بالذكر والمواعظ» الخطبة: 84، وبنفس السياق: «فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير، وانتفعوا بالندر» الخطبة: 157، وقال عليه السلام أيضاً: «ألا أن أسمع الأسماع ما وعى التذكير وقبله» الخطبة: 104.

هذا مع الاحتفاظ بتقد الحالة السائدة آنذاك من عدم التناصح وعدم قبول المواعظ، كما قال عليه السلام: «إنما أنتم إخوان على دين الله، ما فرّق بينكم إلا خبث السرائر، وسوء الضمائر، فلا توازرون، ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادّون» الخطبة: 112.

ص: 8

1- تصنيف غرر الحكم للآمدي: 4557

2- م ن: 4553

2- ثمرة الموعدة

من أهم ثمرات الموعدة إصلاح النفس أولاً، ثم إصلاح المجتمع ثانياً، إذ إنّ النفس إذا صلحت انعكس هذا الإصلاح على سلوك الإنسان وبه تذهب كثير من المظاهر السيئة عن الحياة الاجتماعية، وينتج منها السعادة المنشودة في النظم الاجتماعية والسياسية.

وبهذا الصدد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المواعظ حياة القلوب» (1) وقال عليه السلام: «المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب» (2)، وقال عليه السلام: «المواعظ شفاء لمن عمل بها» (3).

وقال عليه السلام: «المواعظ تنجلي الغفلة» (4)، وقال عليه السلام: «ثمرة المواعظ الانتباه» (5)، وقال عليه السلام: «من قبل النصيحة أمن من

ص: 9

1- تصنيف غرر الحكم للآمدي: 4523

2- م ن: 4524

3- م ن: 4528

4- م ن: 4530

5- م ن: 4531

الفصيحة» (1) وقال عليه السلام: «من أقبل على النصيح أعرض عن القبيح» (2)، كما أنّ «النصيحة تثمر الود» (3).

ص: 10

1- م ن: 4579

2- م ن: 4580

3- م ن: 548

3- شرائط الواعظ

لابد للواعظ أن يتحلّى بأمر توهّمه لتصدي منصب الوعظ والإرشاد، ليتمّ قبول قوله والإذعان إلى إرشاده، ومن تلك الشرائط والآداب:

1- القول الحسن والرفق في القول، كما قال تعالى لموسى عليه السلام حينما أمره بإنذار فرعون: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) طه: 44.

وكما قال تعالى لنبيه الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) النحل: 125.

فاستجاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لذلك، كما شهد له أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «فبالغ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة» الخطبة: 94.

2- الاعتاض، وإلا كيف يعظ غيره من لا يتعظ، ولذا كان يقول أمير المؤمنين عن نفسه الشريفة: «أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقتكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتأهني قبلكم عنها» الخطبة 175.

ص: 11

وكان عليه السلام يأمر باتباع المتعظ من الناس و الاستماع إليه، لكثرة الدغل و الغش الذي ابتليت الأمة به آنذاك، فكان يقول عليه السلام: «أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، و امتاحوا من صفو عين قد روّقت من الكدر» الخطبة: 104.

وكان يقول عليه السلام: «كيف ينصح غيره من يغش نفسه» (1).

3- أن يدعو الناس بفعله قبل قوله، قال عليه السلام: «انّ الوعظ الذي لا يمّجه سمع، و لا يعدله نفع، ما سكت عنه لسان القول، و نطق به لسان الفعل» (2).

ولذا كانت هذه المهمة ملقاة في الدرجة الأولى على عاتق الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، لينذروا الناس بقولهم و فعلهم، كما قال عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «أرسله بحجة كافية، و موعظة شافية» الخطبة: 161.

و قال عليه السلام أيضاً: «فصدع بالحق، و نصح للخلق، و هدى إلى الرشد و أمر بالقصد» الخطبة: 195

و كما قال عليه السلام عن نفسه الشريفة: «أيها الناس إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أممهم، و أدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى

من بعدهم» الخطبة: 182.

ص: 12

1- تصنيف غرر الحكم للآمدي: 4563

2- م. ن: 4560

وقال عليه السلام: «أنه ليس على الإمام إلا ما تحمل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة» الخطبة: 104.

وقريب منه قوله عليه السلام: «أيها الناس انّ لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم...» الخطبة: 34.

ثم من بعد الأنبياء والأوصياء، يأتي دور العلماء الربانيين، كما قال عليه السلام في وصف اهتمامهم بهذا الأمر: «قد وعظوا حتى ملّوا»
الخطبة: 32.

ثم يأتي دور باقي الناس حيث يتبلور ذلك في فريضة الأم بالمعروف والنهي عن المنكر، أو من باب أخذ الحكمة ولو من المنافق أو الكافر، إذ كما قال عليه السلام: «ربما نصح غير الناصح» الكتاب: 31.

ص: 13

4- أسباب قبول الموعدة

لقبول الموعدة و الاستماع إليها وامتثالها مقدمات نفسية، لولاها لم تثمر المواعظ ولم تنتج، فكم من سمع المواعظ البليغة وأعرض عنها، أولئك هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف: 179

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى عدّة أمور تسبب قبول الموعدة، وهي:

1- العقل، قال عليه السلام: «فإنّ الغاية القيامة، وكفى بذلك واعظاً لمن عقل» الخطبة: 190، وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام: لا تكن ممّن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلاّمه، فإنّ العاقل يتعظ بالأداب والبهايم لا تتعظ إلا بالضرب» الكتاب: 31، وقال عليه السلام: «لا يغش العقل من استنصحه» قصار الحكم: 272، وقال عليه السلام: «من لم يكن أملك شيء به عقله لم ينتفع بموعظة» (1).

2- الانتفاع من البلايا والتجارب، قال عليه السلام: «من لم ينفعه الله

ص: 14

1- تصنيف غرر الحكم: 4545

بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة، وأتاه التقصير من أمامه، حتى يعرف ما أنكر وينكر ما عرف» الخطبة: 176.

3- القلب السليم، قال عليه السلام بعد ما ذكر الموت والحشر: «فيا لها أمثالاً صائبة، ومواعظ شافية، لو صادفت قلوباً زاكية، وأسماعاً واعية، وآراء عازمة، وألباباً حازمة» الخطبة: 82 حيث يشير عليه السلام إلى أنّ القلوب الزاكية تنتفع بهذه المواعظ وترتدع.

كما قال عليه السلام ذلك بالنسبة إلى همّام لما سأله أن يصف له المتقين، حيث فارقت روحه بدنه بعد ما سمع تلك الأوصاف، فقال عليه السلام: «أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها» الخطبة: 193.

4- وجود الواعظ والرادع الباطني في نفس الإنسان، قال عليه السلام: «واعلموا أنّه من لم يُعِنَّ على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر، لم

يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ» الخطبة: 89.

وقال عليه السلام: «من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ» قصار الحكم: 84، كما أشار عليه السلام مرة أخرى إلى لزوم الواعظ الباطني بقوله: «فاتقى عبد ربه، نصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته» الخطبة: 63.

5 - التواضع في قبول الموعدة من أي شخص كانت، قال عليه السلام: «اقبلوا النصيحة ممّن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم» الخطبة:

120

ص: 15

5- موانع قبول الموعدة

كما ان لقبول الموعدة أسباباً وعللاً، فكذلك لعدم قبولها ورفضها أسباب وعلل، والذي يريد خير نفسه وسعادتها الأبدية، أن يسعى لرفع وإزاحة العلل المؤدية إلى عدم الاستماع إلى الموعدة، وهي كما وردت على لسان أمير المؤمنين كالتالي:

1- حب الدنيا، قال عليه السلام في وصف البغاة وسبب بغيتهم: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرت أخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: تِلْكَ الدَّارُ الْأَمْخِرَةُ نَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» «بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها» الخطبة: 3

وقال عليه السلام: «سبحانك خالقاً ومعبوداً، بحسن بلاتك عند خلقك، خلقت داراً، وجعلت فيها مأدبةً، مشرباً ومطعماً، وأزواجاً وخدماءً، وقصوراً، وأنهاراً، وزروعاً، وثماراً، ثم أرسلت داعياً يدعو إليها، فلا الداعي أجابوا، ولا فيهما رغبت [فيه] رغبوا، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا. أقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على

ص: 16

حبّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمراض قلبه، فهو ينظر بعينٍ غير صحيحةٍ، ويسمع بأذنٍ غير سميعةٍ، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولّته عليها نفسه، فهو عبدٌ لها، ولمن في يديه شيءٌ منها، حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها؛ لا ينزجر من الله بزاجرٍ، ولا يتعظ منه بواعظٍ» الخطبة: 108.

وقال عليه السلام: «من عظمت الدنيا في عينه، و كبر موقعها من قلبه، أثرها على الله تعالى، فانقطع إليها وصار عبداً لها» الخطبة: 160.

2- الغفلة والغرور، قال عليه السلام: «بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرّة» قصار الحكم: 273.

وقال عليه السلام: «لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه، إذا أخرجتم إلى الصعادات تبكون على أعمالكم، و تلتدمون على أنفسكم، و لتركتم أموالكم لا- حارس لها ولا خالف عليها، ولهت كل امرئ منكم نفسه، لا يلتفت إلى غيرها، ولكنكم نسيتم ما ذكّرتكم، وأمنتم ما حدّرتكم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم» الخطبة: 115.

و تبع عليه السلام جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال عليه السلام: «كأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، و كأنّ الحق فيها على غيرنا وجب، و كأنّ الذي نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوّهم أجدانهم و نأكل تراثهم كانا مخلّدون، قد نسينا كل واعظ واعظة، و رمينا بكلّ جائحة» قصار الحكم: 116.

3- التمرّد والعناد، قال عليه السلام: اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً... أو متمرداً كأنّ ياذنه عن سمع المواعظ وقرأ الخطبة: 129.

4- القلب المنكوس، قال عليه السلام: «فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً، قلب فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه» قصار الحكم: 365.

وقال عليه السلام: «لوفكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والأبصار مدخولة» الخطبة: 185.

فهكذا قلب يأبى قبول الموعظة وينفر منها، وهذا ما فتّ عضد الدولة الإسلامية في زمن أمير المؤمنين عليه السلام، بسبب ابتعاد الأمة عن هدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أمر بالتمسك به، فكان يقول عليه السلام شاكياً من تخاذلهم: «استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، و أسمعتمكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهاً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا... أعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها...» الخطبة: 96.

6- نتيجة ترك المواعظ

كما انّ الاتعاظ و الاستماع إلى الناصح يوجب السعادة في الدارين، كذلك ترك المواعظ و عدم الاستماع إلى الهداة يوجب الخسران في الدارين.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) يونس: 7-8.

كما أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الأمر قائلاً: «أما بعد فإنّ معصية الناصح الشفيق، العالم المجرب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة» الخطة: 35.

ص: 19

إشارة

قد يتصور الإنسان في البداية أنّ الموعظة أمر يخص الجانب الأخلاقي فقط كالتهديد في الدنيا و التزوّد للأخرى وما شاكل، ولكن لو نظرنا إلى الموعظة نظرة شمولية، لرأينا إمكان تعميمها إلى مختلف الجوانب من حياة الإنسان، فتصبح شاملة للجانب السياسي والعقائدي والاجتماعي وغيرها من الجوانب.

و لو صحّ هذا التوسّع، لأمكننا تقسيم الموعظة إلى: 1- عقائدية 2- أخلاقية 3- سياسية 4- اجتماعية، لأنّ هذه الجوانب أهمّ ما يدور حولها الإنسان في حياته و سلوكه اليومي، و الموعظة و النصيحة فيها تعتبر المؤشّر المطمئن لسلوك الطريق الصحيح، والوصول إلى السعادة التي هي الهدف الأساس والعمود الفقري للمواعظ والنصائح.

وفيما يلي نلقي نظرة عابرة لكل جانب من هذه الجوانب:

1 - المواعظ العقائدية:

إذا كانت العقائد تنقسم إلى: الهيئات، ونبوة وإمامة، و معاد، فالمواعظ فيها تتمحور حول تصحيح و سدّ الثغرات و الأخطاء التي تقع في طريق الفهم الصحيح لهذه المفردات، وإعطاء خطوط عامة و ضوابط

لتبيين السلوك الصحيح فقط، وهذا لا يعني الدخول في المباحث الكلامية المفصلة.

ففي مبحث الإلهيات مثلاً نكتفي بقوله عليه السلام: «ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين» الخطبة: 90.

هذا الكلام يعطي ضابطة عامة لطريقة فهم التوحيد الصحيح بعيدة عن التشبيه والتعطيل، فهو عليه السلام يقول من جهة: «لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً» الخطبة: 155، فينفي التشبيه، ويقول من جهة أخرى: «لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته» الخطبة: 49، فينفي التعطيل، كما أنه ينفي الشرك ويقول: «أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً» الخطبة: 149.

أما في مبحث النبوة والإمامة، فيشير عليه السلام في طيّات كلامه ومواعظه إلى أنّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً، بل أرسل إليهم الأنبياء لهدايتهم، فكان يقول عليه السلام: «واعلموا عباد الله أنّه لم يخلقكم عبثاً، ولم يرسلكم هملاً» الخطبة: 195.

كما يشير عليه السلام إلى لزوم التمسك بهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم التخطي عنه، ويقول فيما كتبه لمالك الأشر: «واردد إلى الله ورسوله ما يضلّك من الخطوب، ويشتهب عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفترقة» الكتاب: 53.

وكذلك يأمر بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: «فتأس بنبيك الأطيب الأطهر، فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى، و أحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره... فتأسى متأس بنبيه، واقتص أثره، ولجج، مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة» الخطبة: 160.

ثم يشير عليه السلام إلى مسألة الإمامة ويقول: «أنظروا أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدو، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتصلوا، لا تتأخروا عنهم فتهلكوا» الخطبة: 96.

وقال عليه السلام: «فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أئمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، ورددوهم وروود الهيم العطاش» الخطبة: 86.

وكان يشير إلى نفسه ويقول: «أيها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر» الخطبة: 104.

وقال أيضاً: «فاستمعوا من ربانيكم، وأحضره قلوبكم

واستيقظوا إن هتف بكم» الخطبة: 107.

فنصائح عليه السلام كانت تتمحور حول تبيين مسألة لزوم وجود الحجج الإلهية، ثم التمسك بهم وعدم التخطي عن تعاليمهم.

أما بالنسبة إلى المعاد، فنصائح كانت تتمحور حول عدم العبثية في الخلقة، والتذكير بالقيامة وصعوبة الحساب والكتاب وما شاكل، قال عليه السلام وهو يشير إلى حتمية المعاد لوجود المبدأ: «أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم، وإليه يكون معادكم» الخطبة: 198.

ثم يصف ذلك اليوم قائلاً: «وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخريين لنقاش الحساب، وجزاء الأعمال» الخطبة: 101.

ويشير إلى حتمية ذلك ويقول: «إنّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة، مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى» الخطبة: 156.

ويؤكد عليه السلام أنّ الموازين هناك موازين عادلة لا ظلم فيها لأحد، ويقول: «إذا رجفت الراجفة، وحقّت بجلالها القيامة، ولحق بكل منسك أهله، وبكل معبود عبده، وبكل مطاع أهل طاعته، فلم يجز في عدله وقسطه يومئذٍ خرق بصر في الهواء، ولا همس قدم في الأرض إلاّ

بحقه» الخطبة: 222.

2 - المواعظ الأخلاقية

إشارة

المواعظ الأخلاقية هي العمدة في هذا الباب، وقد تنوّعت

ص: 23

مواظب الإمام عليه السلام في نهج البلاغة، بحيث يتمكن الإنسان أن يتعظ ويعتبر من كل شيء، وفيما يلي نشير إلى أهم ما ورد في هذا الكتاب الشريف.

1- الإسلام

حيث إن الدين الإسلامي بما فيه من تعاليم شمولية للدنيا والآخرة، خير رافد للاتعاظ، لذا نرى إن أمير المؤمنين عليه السلام يحمد الله تعالى على هذه النعمة ويقول: «الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه على من غالبه، فجعله أمناً لمن عقله، وسلاماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، ولُبّاً لمن تدبّر، وآية لمن توسّم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدّق، وثقة لمن توكلّ، وراحة لمن فوّض، وجُتّة لمن صبر» الخطبة: 105.

و الخلاصة أنه بمجموعه عبرة لمن اتعظ.

2- القرآن الكريم

قال عليه السلام: «واعلموا إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى، و اعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى... واستنصحوه على أنفسكم... أن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل القرآن، فإنّه جبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره» الخطبة: 176.

ص: 24

وكتب عليه السلام إلى الحارث الهمداني: «وتمسك بحبل القرآن وانتصحه...» الكتاب: 69.

3- الدنيا

والمتصفح لنهج البلاغة يرى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بالغ بالتزهد في الدنيا وبيان حقيقة حالها، ولزوم التزوّد منها، وأنّها دار ممرّ

وليست مقراً، وهي «دار موعظة لمن اتعظ بها» قصار الحكم 124 و أنّها قد «كاشفتك العظا» الخطبة: 222.

ويمكن أن نقسّم كلام الإمام عليه السلام في الموعظة بالدنيا ضمن النقاط التالية:

أ- الدنيا قنطرة، وهذا ما يؤكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في مواعظه حيث يقول: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها» قصار الحكم: 451، وقال عليه السلام: «أنتك في منزل قلعة، ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة» الكتاب: 31

وقال عليه السلام: «انّ الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار» الخطبة: 132.

وأخيراً: «ألا وإنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنّونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم، ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم إليه، ألا وإنّها ليست بباقيّة لكم ولا تبقون عليها، وهي وإن غرّتكم منها فقد حدّرتكم شرّها، فدعوا غرورها

ص: 25

لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها، وانصرفوا بقلوبكم عنها، ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها، واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه.

ألا وإنه لا يضرركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم، ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم»

ب - ذم الدنيا، قال عليه السلام: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، و من

افتقر فيها حزن، و من ساعاها فاتته، و من قعد عنها واتته» الخطبة: 81

وقال عليه السلام: «أيها الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص، لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد، ولا تقوم له نابتة إلا و تسقط منه محصودة» الخطبة: 145.

وقال عليه السلام: «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزالها، أحوال مختلفة، وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم، والأمان منها معدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة،

ص: 26

ترميهم بسهامها، وتقنيهم بحمامها» الخطبة 225.

وقال عليه السلام: «مثل الدنيا كمثل الحية، لئن مسها والسم النافع في جوفها، يهوي إليها الغرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللب العاقل» قصار الحكم:

.113

وقال عليه السلام: في وصفها: «تغرّ وتضرّ وتمرّ، أنّ الله تعالى لم يرضها ثواباً لأولياءه، ولا عقاباً لأعدائه» قصار الحكم: 403.

ج - عدم الاغترار بالدنيا، قال عليه السلام: «ولا تغرّكم الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية، والقرون الخالية، الذين احتلبوا درّتها، وأصابوا غرّتها، وأفنوا عدتها، وأخلقوا جدتها» الخطبة: 229

ووصف عليه السلام المغترّ بالدنيا بقوله: «و مثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنيا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفضح عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه» الكتاب: 31.

وقال عليه السلام: «قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، و حضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة» الخطبة: 112.

د- التحذير من الدنيا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أمّا بعد فإني أحذركم الدنيا، فإنّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، و تحببت بالعاجلة،

ص: 27

ورافت بالقليل، و تحلّت بالآمال، و تزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، و لا تؤمن فجعته، غرارة ضرارة، حائلة زائلة، نافذة بانددة، أكالة غوالة، لا تعدو - إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها - أن تكون كما قال الله سبحانه و تعالى: (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) (1).

لم يكن امرؤ منها في حبرة الا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سررائها بطناً إلا منحتته من ضررائها ظهراً، ولم تطله فيها ديمة رخاء الا هتنت عليه مزنة بلاء، و حريّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متكرة، و إن جانب منها اعدوذب و احلولي، أمرّ منها جانب فأويي.

لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً، إلا أرهقته من نوائبها تعباً، و لا يمسي منها في جناح أمن، إلا أصبح على قوادم خوف، غرارة غرور ما فيها، فانية فان من عليها، لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى.

من أقل منها استكثر ممّا يؤمنه، و من استكثر منها استكثر مما يوبقه، و زال عمّا قليل عنه، كم من واثق بها قد فجعته، و ذي طمأنينة إليها قد صرعته، و ذي أبهة قد جعلته حقيراً، و ذي نخوة قد ردّته ذليلاً، سلطانها دول، و عيشها رنق، و عذبها أجاج، و حلوها صبر، و غذاؤها

سمام، و أسبابها رمام، حيّتها بعرض موت، و صحيحها بعرض سقم،

ص: 28

1- الكهف: 45

ملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، و موفورها منكوب، وجارها محروب.

ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدّ عديداً، وأكثر جنوداً، تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد، وآثروها أيّ إيثار، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلّغ ولا ظهر قاطع.

فهل بلغكم أنّ الدنيا سخت لهم نفساً بقدية، أو أعانتهم بمعونة، أو أحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالفوادم، وأوهنتهم بالقوارع، و ضعّعتهم بالنواب، وعقرتهم للمناخر، ووطّتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها، وآثرها وأخذ إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد.

هل زودتهم إلا السغب؟ أو أحلّتهم إلا الضنك؟ أو نورّت لهم إلا الظلمة؟ أو أعقبتهم إلا الندامة؟ أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدار لمن لم يتهمها، ولم يكن على وجل منها.

فاعلموا - وأنتم تعلمون - بأنكم تاركوها و طاعنون عنها، واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشدّ مئاقرة، حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبناً، و أنزلوا الأحداث فلا يدعون ضيفاناً، و جعل لهم من الصفيح أجنان، و من التراب أكفان، و من الرفات جيران، فهم جيران لا يجيبون

داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبةً، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، و جيرة وهم أبعاد، متدانون

لايتزاورون، وقريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهب أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربةً، وبالنور ظلمةً، فجأؤها كما فارقتها، حفاةً عراءً، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال الله سبحانه: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (1) الخطبة: 110.

وقال عليه السلام: «وأحذركم الدنيا، فإنها منزل قلعة، وليست بدار نجعة، قد تزيّنت بغرورها، وغرت بزینتها، دار هانت على ربّها، فخلط

حلالها بحرامها، وخيرها بشرّها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرّها لم يصفها الله لأوليائه، ولم يضمن بها على أعدائه، خيرها زهيد، وشرّها عتيد، وجمعها ينفد، وملكها يسلب، وعمارها يخرب. فما خير دار تُنقض نقض البناء، وعمر يفنى فناء الزاد، ومدة تنقطع انقطاع السير»
الخطبة: 112

وقال عليه السلام: «... و وصف لكم الدنيا وانقطاعها، وزوالها وانتقالها، فأعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها، أقرب دار من سخط الله، وأبعدها من رضوان الله! فغضوا عنكم - عباد الله - غمومها وأشغالها، لما قد أيقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها.

ص: 30

فاحذروها حذر الشفيق الناصح، و المجدد الكادح، و اعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم: قد تزايدت أوصالهم، و زالت أسماعهم وأبصارهم، و ذهب شرفهم وعزهم، و انقطع سرورهم و نعيمهم؛ فبدلوا بقرب الأولاد فقدها، و بصحبة الأزواج مفارقتها. لا يتفاخرون، و لا يتناصرون، و لا يتناسلون، و لا يتزاورون، و لا يتجاورون.

فاحذروا، عباد الله، حذر الغالب لنفسه، المانع لشهوته، الناظر بعقله؛ فإنَّ الأمر واضح، و العلم قائم، و الطريق جدد، و السبيل قصد»
الخطبة رقم: 161.

و قال عليه السلام: «و أحذركم الدنيا، فإنَّها دار شخوص، و محلّة تنغيص، ساكنها ظاعن، و قاطنها بائن، تميد بأهلها ميدان السفينة تصفّقها العواصف في لحج البحار، فمنهم الغرق الوبق، و منهم الناجي على متون الأمواج، تحفزه الرياح بأذيالها، و تحمله على أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرّك، و ما نجا منها فالى مهلك» الخطبة رقم: 196.

و قال عليه السلام: «فاحذروا الدنيا فإنَّها غدارة غرارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رضاؤها، و لا ينقضي عناؤها، و لا يركد بلاؤها» الخطبة رقم: 229.

و قال عليه السلام: «اتق الله في كل صباح و مساء، و خف على نفسك الدنيا الغرور، و لا تأمنها على حال، و اعلم أنّك إن لم تردع نفسك عن كثير مما

تحب مخافة مكروهه، سمّت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، و لنزوتك عند الحفيظة واقاً قامعاً» الكتاب: 56.

هـ_ نبد الدنيا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرظ، وقراضة الجلم، و اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم» الخطبة: 32.

وقال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، و المبلية لأجسادكم وإن كنتم تحبون تجديدها، فإنما مثلكم و مثلها كسفر سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه، و أموا علماً فكأنهم قد بلغوه، و كم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها، و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، و طالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها، فلا تنافسوا في عزّ الدنيا و فخرها، ولا تعجبوا بزينتها و نعيمها، و لا تجزعوا من ضررائها و بؤسها، فإنّ عزّها و فخرها إلى انقطاع، و زينتها و نعيمها إلى زوال، و ضرّاءها و بؤسها إلى نفاذ، و كل مدة فيها إلى انتهاء، و كل حيّ فيها إلى فناء» الخطبة: 98.

و قال عليه السلام: «إنّ السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم» الخطبة: 222.

و قال عليه السلام: «فقطّعوا علائق الدنيا، واستظفروا بزاد التقوى» الخطبة 205

وقال عليه السلام: «ألا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها، أنّه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها» قصار الحكم: 444.

و- سرعة انقضاء الدنيا، أنّ الفترة الزمنية التي يعيشها الإنسان في الدنيا بالنسبة إلى عالم الخلود الذي سيرحل إليه، لا تكون إلا قليلة، ولذا جاء في الذكر الحكيم: (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ) (1) وكما في الحديث الشريف: «الدنيا ساعة فاجعلها في طاعة» (2).

إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام مشحون بتذكير سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت، فيقول عليه السلام: «إنّ غداً من اليوم قريب، ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر» الخطبة: 188.

ويقول أيضاً: «الأمر قريب والاصطحاب قليل» قصار الحكم: 69.

ويقول: «الرحيل وشيك» قصار الحكم: 177. «ما أقرب الحيّ من الميت للحاقه به، وأبعد الميت من الحيّ لانقطاعه عنه» الخطبة رقم: 113. «ولينظر امرؤ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدل به منزلاً» الخطبة: 214. «إذا كنت في إدبار و الموت في اقبال فما أسرع الملتقى»

ص: 33

1- المؤمنون: 112 - 113

2- عوالي اللئالي لابن أبي جمهور 1: 285 ح 131

قصار الحكم: 490. و يحذرنا عليه السلام و يقول: «فاحذروا عباد الله الموت وقربه» الكتاب رقم: 27. و يقول لابنه الحسن عليه السلام: «وكأنك عن قليل صرت كأحدهم» الكتاب رقم: 31.

و المتصفح لنهج البلاغة يجد الكثير من هذه العبارات التي تذكّرنا بقرب الرحيل و سرعة انقضاء الدنيا، وإليك بعضها:

«أما بعد فإنّ الدنيا قد أدبرت و أذنت بوداع، وإنّ الآخرة قد أقبلت و أشرفت باطلاع» الخطبة رقم: 28.

«فكأن قد علقتم مخالبا المنية، و انقطعت منكم علائق الأمنية، و دهمتكم مفضعات الأمور، و السياقة إلى الورد المورود» الخطبة رقم: 84.

«فإنّها [أي الدنيا] والله عمّا قليل تزيل الثاوي الساكن، و تفجع المترف الآمن... فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم

منها» الخطبة رقم: 102.

«و ما هو إلّا الموت أسمع داعية، و أعجل حاديه» الخطبة رقم: 133

«ما أقرب اليوم من تباشير غد» الخطبة رقم: 150

«واعلموا أنّ ملاحظ المنية نحوكم دانية، و كأنكم بمخالباها و قد نشبت فيكم، و قد دهمتكم فيها مفضعات الأمور و معضلات المحذور»

الخطبة رقم: 204

ص: 34

ولترسيخ هذه الفكرة في أذهاننا وقلوبنا يستخدم أمير المؤمنين عليه السلام أسلوب التشبيه، فتارة يشبّه سرعة انقضاء الدنيا ببقية الماء في الإناء ويقول: «ألا وإنّ الدنيا قد ولّت حذاء، فلم يبق منها إلّا صباية كصباية الإناء اصطبها صابها» الخطبة رقم: 42. «ألا وإنّ الدنيا قد تصرمت و آذنت بانقضاء... فلم يبق منها إلّا سملة كسملة الإداوة، أو جرعة كجرعة المقلّة، لو تمزّزها الصديان لم ينقع» الخطبة رقم: 52 و تارة يشبّه سرعة انقضائها بالظل ويقول: «فإنّها عند ذوي العقول كفيء الظل، بينا تراه سابغاً حتى قلص، وزانداً حتى نقص» الخطبة رقم: 62.

وأخرى بالمسافر فيقول: «فإنّما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه، وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها» الخطبة رقم: 98، «فإنّها أتم كركب وقوف، لا يدرون متى يؤمرون بالسير» الخطبة رقم: 157. «إنّ أهل الدنيا كركب بينا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا» قصار الحكم: 403.

«وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم» الخطبة رقم: 183.

وأخيراً التمثيل بالليل والنهار ومجيء الشمس والقمر، إذ إنّ «الشمس والقمر دائبان في مرضاته، يلبان كل جديد، ويقربان كل بعيد» الخطبة رقم: 89. «وان غائباً يحدوه الجديدان: الليل والنهار، لحريّ بسرعة الأوبة» الخطبة رقم: 63.

ويقول لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «واعلم أنّ من كانت مطيته الليل والنهار، فإنّه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً» الكتاب رقم: 31.

ويقول عليه السلام: «وانصرت الدنيا بأهلها، وأخرجتهم من حضنها، فكانت كيوم مضى وشهر انقضى» الخطبة رقم: 190.

فلماذا هذه الغفلة يا إنسان، ألا تعلم أنّ «نفس المرء خطاه إلى أجله» قصار الحكم: 69. و«رب مستقبل يوم ليس بمستديره، ومغبوط في أول ليله قامت بواكيه في آخره» قصار الحكم: 370. وليس هذا إلا من طول الأمل والاعتزاز بالدنيا، إذ «لورأى العبد الأجل ومسيره لأبغض الأمل وغروره» قصار الحكم: 325.

وهذا ما ينبهنا عليه أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: «قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة» الخطبة رقم: 112. وهذا هو سبب هلاك الماضين حيث يقول عليه السلام: «إنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم، وتغيّب آجالهم» الخطبة رقم: 147.

فعلينا أن نستعد ونخشى حلول الموت ونحن في غفلة عنه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل».

4- الموت

وهو من المواعظ المهمّة التي تطرّق إليها

ص: 36

أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً، إذ أنه من أهم الدواعي للتنفير من الدنيا و التزوّد للآخرة، فقد قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «يا بني أكثر من ذكر الموت، و ذكر ما تهجم عليه، و تقضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك و قد أخذت منه حذرك، و شددت له أزرک، ولا يأتيك بغتة فيبهرك» الكتاب رقم: 31.

و يقول أيضاً: «طوبى لمن ذكر المعاد، و عمل للحساب» قصار الحكم: 39

و يوصي عليه السلام المسلمين عموماً و يقول: «وأوصيكم بذكر الموت، وإقلال الغفلة عنه، و كيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم، و طمعكم فيمن ليس يمهلكم» الخطبة رقم: 188 و أيضاً: «أسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم» الخطبة رقم: 112.

و قد وصف عليه السلام خالص صحابة رسول الله عليه السلام و قال: «و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم» الخطبة رقم: 96.

و لذكر الموت فوائد كثيرة و منافع جمّة، و قد ورد ذكر بعضها في نهج البلاغة وهي:

ألف: ترك اللهو و اللعب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والله أنّي ليمنعني من اللعب ذكر الموت» الخطبة رقم: 138.

ص: 37

ب: ترك الشهوات والملاذب الدنيوية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا فاذكروا هادم اللذات، و منغص الشهوات، وقاطع الأمنيات عند المساورة للأعمال القبيحة» الخطبة رقم: 98

وقال عليه السلام: «فإنّ الموت هادم لذاتكم، و مكدر شهواتكم، و مباعد طياتكم» الخطبة رقم: 229. وقال عليه السلام: «اذكروا انقطاع اللذات، وبقاء

التبعات» قصار الحكم: 421.

وقال عليه السلام: في عهده للاشتر بعدما أمره بترك خصال: «ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك» الكتاب رقم: 53

ج: خشوع القلب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «و أحي قلبك بالموعظة ... و ذالله بذكر الموت» الكتاب رقم: 31. وقال: «و بقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع، و أراق دموعهم خوف المحشر» الخطبة رقم: 32.

د: القناعة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير» قصار الحكم: 339.

ص: 38

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد فإن من لم يحذر ما من لم يحذر ما هو صائر إليه، لم يقدم لنفسه ما يحرزها» الكتاب رقم: 51. و قال عليه السلام: «ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات» قصار الحكم: 27. وقال: «من تذكر بعد السفر استعد» قصار الحكم: 271

حتمية الموت للإنسان:

إن من نتائج الانغمار في ملاذ الدنيا نسيان الموت، رغم ما نرى من كثرة الموتى حولنا، فكأن الموت فيها على غيرنا كتب، وهذه آفة لا بد أن نتخلص منها و نتيقن بأننا ميتون، وهذا ما أمر به أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام حيث أمره بإحياء قلبه بالمواعظ وبصفات آخر، ثم قال: «وقرّه بالفناء» الكتاب رقم 31. ويأمرنا بذلك أيضاً ويقول: «فحقّقوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه» الخطبة رقم 196.

و تقريراً لذلك يذكر أمير المؤمنين عليه السلام شواهد ممن مات من الأنبياء والعظماء ويقول: «فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سلماً أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سخر له ملك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته، واستكمل ممدته، رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية والمسكن معطلة، ورثها قوم آخرون، وإن لكم في القرون السالفة لعبرة» الخطبة رقم: 182.

ص: 39

ان الموت يلازمنا ولا ينجو منه أحد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبه» الخطبة رقم: 38. «والدنيا دار مُني لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء» الخطبة رقم: 45. ويوصينا عليه السلام ويقول: «فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال» الخطبة رقم: 52. ويذكرنا بأن الدنيا «كل مدّة فيها إلى انتهاء، و كل حيّ فيها إلى فناء» الخطبة رقم: 98. والله تعالى وعد نفسه وألزمها بذلك، قال عليه السلام: «و وأى على نفسه ألا يضطرب شيخٌ ممّا أولج فيه الروح إلا وجعل الحمام موعده، والفناء غايته» الخطبة رقم: 165.

وهذه

الحتمية وهذا اللزوم لا ينفعه الفرار، إذ إنّ «الأجل مساق النّفس والهرب منه موافاته» الخطبة رقم 149. وذلك لأنّ «الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب» الخطبة رقم: 122. وقد قال عليه السلام أيضاً: «وأنتم طرداء الموت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من خلفكم» الكتاب رقم: 27. وأخيراً يوصي ابنه الإمام

الحسن عليه السلام ويذكره ويقول له: «و أنّك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا بد أنّه مدركه» الكتاب رقم: 31.

الاستعداد للموت:

بعدما قررنا قلوبنا بالفناء، وأثبتنا لها الموت وسرعة حلوله، لا بد أن نستعد له ونأخذ حذرنا منه، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واستعدوا

ص: 40

للموت فقد أضلكم، وكونوا قوماً صريحاً بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به ... و إنّ قادمًا يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العُدّة، فتزوّدوا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غداً» الخطبة رقم: 63.

وقال لابنه الحسن عليه السلام: «فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك» الكتاب رقم: 31. فيأمر ابنه بإصلاح المثوى، ويأمر غيره بالتجهيز ويقول: «تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلّوا العُرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد» الخطبة رقم: 204. ويقول عليه السلام: «فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته، فإنّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو شر لا يكون معه خير أبداً» الكتاب رقم: 27.

وقال عليه السلام في وصف أحبّ العباد إلى الله تعالى عبد: «أعدّ القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد» الخطبة رقم: 86.

و كثيراً ما نرى في نهج البلاغة الأمر بمبادرة الموت والاستعداد له، ونشير فيما يلي إلى بعضها:

قال عليه السلام: «رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ... وبادر الأجل، وتزوّد من العمل» الخطبة رقم: 75.

وقال عليه السلام: «وبادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت، فإنّ الناس أمامكم، وأنّ الساعة تحذوكم من خلفكم» الخطبة رقم: 167.

وقال عليه السلام: «فبادروا المعاد، وسابقوا الآجال، فإنّ الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل، ويرهقهم الأجل، ويُسدّ عنهم باب التوبة» الخطبة

رقم: 183.

وقال عليه السلام: «وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله ... وبادروا آجالكم بأعمالكم، فإنكم قوم مرتهنون بما أسلفتم، ومدنيون بما قدّمتم، وكان قد نزل بكم المخوف، فلا رجعة تالون، ولا عشرة تقالون» الخطبة رقم: 190.

وقال عليه السلام: «وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكركم» قصار الحكم: 193.

الاحتضار وسكرة الموت:

قال الله تعالى في محكم كتابه: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ^{طُ}ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) (1).

وقال تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (2).

ص: 42

1- ق: 19

2- الأنفال: 50

وقال تعالى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) (1)

ابتداء من الاحتضار تبدأ رحلة الإنسان الأخروية، وهي عقبة مهولة ومصيرية، إما إلى الجنة وإما إلى النار، وحقيق بالإنسان أن يستعد

لها، ويطيل النظر حولها ليسلم من فزعاتها، إذ «انَّ للموت لغمرات هي أفضع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا» الخطبة رقم: 220.

وقد ورد في نهج البلاغة موارد مختلفة لوصف ساعة الاحتضار، و ما يحيق بالإنسان من شدائد و مصاعب، نوردها كما هي و من دون تعليق إذ ان كلام الأمير عليه السلام أبلغ في الموعظة من أي شرح و تعليق:

قال عليه السلام في صفة أهل الغفلة: «دهمته فجعات المنية في غُبر جماحه، و سننِ مراحه، فظلَّ سادراً، و بات ساهراً في غمرات الآلام، و طوارق الأوجاع و الأسقام بين أخ شقيق، و والد شقيق، و داعية بالويل جزعاً، و لادمة للصدور قلقاً، و المرء في سكرة ملهية، و غمرة كارثة، و آفة

موجعة و جذبة مكربة، و سَوَقة متعبة» الخطبة رقم: 82.

وقال عليه السلام: «فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت، و حسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، و تغيّرت لها ألوانهم، ثم

ص: 43

ازداد الموت فيهم ولو جاً، فحيل بين أحدهم وبين منطقته، وانه ليين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه على صحة من عقله، وبقاء من لبه، يفكر فيم أفنى عمره، و فيم أذهب دهره، ويتذكر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبتها، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها، فيكون المهناً لغيره والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، فهو يعصّ يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه وسمعته، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعته، يُردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً به، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله، قد أو حشوا من جانبه، وتباعدا من قربه لا يسعد باكياً ولا يُجيب داعياً» الخطبة رقم: 108.

و يصف عليه السلام الإنسان حال كونه طريح الفراش قد أيس منه أهله وأصدقائه: «فينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الأجابة، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، ويبست رطوبة لسانه، فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده، ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه، من كبير كان يعظّمه، أو صغير كان

يرحمه وانّ للموت لغمرات هي أفضع من أن تُستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا» الخطبة رقم: 220.

وقال عليه السلام: «فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام عله، وحنادس غمراته، وغواشي سكراته، وأليم إرهابه، ودجوّ أطباقه، و
جشوبة ممذاقه» الخطبة رقم: 229

وقال عليه السلام أيضاً في وصف تلك الشدائد: «فإنكم لو عاينتم ما من قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتهم وسمعتهم وأطعتم، ولكن
محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب» الخطبة رقم 20.

فعلينا التفكير في هذه الأوصاف الموحشة والاستعداد والاستعاذة بالله تعالى، فقد ورد في الدعاء: «اللهم أعني على سكرات الموت،
اللهم أعني على غمرات الموت» (1).

وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «الهي الأمان عند سكرات الموت، وعند مفارقة الروح، وعند معاينة الموت» وعلينا
بالأعمال التي تخفف سكرات الموت من قبيل: الإحسان إلى الإخوان، صلة الرحم، بر الوالدين ترك الذنوب، صوم أربعة وعشرين يوماً من
رجب أو صوم آخر رجب، وغيرها من الأعمال المذكورة في مظانها.

5- القبر

وهو أيضاً من أهم موارد العظة، فقد قال أمير المؤمنين

ص: 45

عليه السلام: «واذكر قبرك، فإنّ عليه ممرك» الخطبة رقم: 153. ولما كان راجعاً من صفين مرّ على قبور بظاهر الكوفة فخاطبهم وقال: «يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربية، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق» قصار الحكم: 123.

هذا المنزل أيضاً مهول وعظيم، والإنسان لو سلم من المنزل الأول وهو الموت والاحتضار، لاستقبله هذا المنزل الموحش الذي يجمع عدّة أهوال، وقد وردت الإشارة إلى بعضها في نهج البلاغة نذكرها فيما يلي:

1- وحشة القبر وضيقه وغرخته:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع... وقد غودر في محلة الأموات رهيناً، وفي ضيق المضجع وحيداً... ثم أدرج في أكفانه مبلساً، وجذب منقاداً سلساً، ثم ألقى على الأعواد رجيع وصب، ونضو سَقَم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الاخوان إلى دار غرخته، ومنقطع زورته» الخطبة رقم: 82

وقال عليه السلام: واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشدّ منّا قوة، حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبناً، وانزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، و جعل لهم من الصفيح أجنان، و من التراب أكفان، و من الرفات

جيران، فهم جيرة لا- يجييون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبة، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، و جيرة أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقرييون لا يتقاربون، حلماء قد ذهب أضعانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة» الخطبة رقم: 110.

وقال عليه السلام: «فكأن كل امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته، ومخط حفرته فيا له من بيت وحدة، ومنزل وحشة، ومفرد غربة» الخطبة رقم: 157.

وقال عليه السلام: «كفى واعظاً بموتى عايتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وانزلوا فيها غير نازلين، كأنهم لم يكونوا للعالم أعماراً، و كأن الآخرة لم تزل لهم داراً، أو حشوا ما كانوا يوطنون، وأوطنوا ما كانوا يوحشون» الخطبة رقم: 188.

وقال عليه السلام: «فمحلها [أي القبور] مقرب، وسكانها مغرب، بين أهل محلّة موحشين، وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار» الخطبة رقم: 225.

وقال عليه السلام في صفة أصحاب القبور بأنهم لو نطقوا لقالوا: «كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام

البلى، و تكاءدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، و تهكمت علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا، و تنكرت معارف صورنا، و طالت في مساكن الوحشة اقامتنا، ولم نجد من كرب فرجاً، و لا من ضيق متسعاً» الخطبة رقم: 220.

2- تجسّم الأعمال وتلازمها للإنسان:

انّ الأعمال تتجسد للإنسان في القبر، فيراها بصورها الحسنة أو القبيحة قال عليه السلام: «و أعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى ... معاينة المحل و ثواب العمل ... و الأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بغيب أنبائها، لاتستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سيئ زللها».

و أشار عليه السلام إلى التلازم القائم بين الإنسان و بين عمله وقال عليه السلام: «ثم حملوه إلى مخطّ في الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله» الخطبة رقم: 108

وقال عليه السلام: «قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، والدار الباقية» الخطبة رقم: 110. وقال عليه السلام: «لا- عن قبيح يستطيعون انتقالاً،

ولا في حسن يستطيعون ازدياداً» الخطبة رقم: 188.

3 - ضغطة القبر:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس ... واختلاف الأضلاع، و استكاك الأسماع، و ظلمة اللحد،

ص: 48

وخيفة الوعد، وغمّ الضريح وردم الصفيح» الخطبة رقم: 190.

وقال عليه السلام: «وكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه... وضمكم ذلك المستودع» الخطبة رقم: 225.

ولشدة هذا الأمر وهوله كان الإمام الباقر عليه السلام يتعوذ منه ويقول: «اللهم آتني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن ضغطة القبر» (1).

4- تناخر الأجسام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قد هتكت الهوام جلدته، وأبلى النواهك جدته، وعفت العواصف آثاره، ومحى الحدثان معالمه، وصارت

الأجساد شحبة بعد بضتها، والعظام نخرة بعد قوتها» الخطبة رقم: 82.

وقال عليه السلام: «سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمانهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال... فلو كانوا ينطقون... فقالوا: كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام البلى... فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا... فلو مثلتهم بعقلك، أو كشفت عنهم محجوب الغطاء لك، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واکتحت أبصارهم بالتراب فخنسفت،

ص: 49

1- الكافي للكليني 2: 526

وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها، وعاث في كل جارحة منهم جديد بليّ سمّجها و سهّل طرق الآفة إليها، مستسلمات فلا أيدٍ تدفع، ولا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون، لهم في كل فظاعة صفة حال لاتنتقل، وغمرة لا تنجلي، فكم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق لون، كان في الدنيا غذيّ ترف وريب شرف، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضنّاً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه و لعبه» الخطبة رقم: 220.

وقال عليه السلام في وصف أصحاب القبور و عدم التزاور فيما بينهم مع قرب الجوار: «و كيف يكون بينهم تزاور، و قد طحنهم بكلكله البلي، و أكلتهم الجنادل و الثرى» الخطبة رقم: 225.

5- المساءلة في القبر:

من الشدائد التي تواجه الإنسان في القبر سؤال منكر ونكير إياه و محاسبته، ولذا يُلقن الميّت قبل الدفن و بعد الدفن.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حتى إذا انصرف المشيخ، ورجع المتفجع، أقعد في حفرته نجياً لبهتة السؤال، و عشرة الامتحان» الخطبة رقم: 82. و قد قال أبو ذر الله رحمي الله لما وقف على قبر ابنه: «و لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، و الله ما بكيت لك و لكن بكيت عليك، فليت

شعري ما قلت و ما قيل لك» (1) .

نسأل الله تعالى أن يعيننا في اجتياز هذا المنزل الصعب بمَنِّه و كرمه، و يوفقنا لأداء الفرائض و التمسك بأذيال آل محمد عليه السلام، فقد ورد في الحديث: «إذا مات المؤمن دخل القبر معه ستة أوجه، كل واحد أجمل و أعطر و أنظف من باقي الوجوه، فتستقر الوجوه الستة في ستة مواضع عن يمينه و شماله و خلفه و قدامه و الى جانب قدميه، و أحلاها و أطيبها إلى جانب رأسه، فإذا أتاه السؤال أو العذاب من كل جانب منعه وجه من الوجوه الستة، و يسأل الوجه الأجمل باقي الأوجه: من أنتم جزاكم الله مَنِّي خيراً؟

فيقول الوجه المستقر على يمين المؤمن: أنا الصلاة، و يقول الوجه المستقر على شمال المؤمن أنا الزكاة، و يقول المواجه لوجه المؤمن: أنا الصوم، و يقول المستقر خلف المؤمن: أنا الحج، و يقول المحاذي لقدميه: أنا البر و الإحسان للإخوة المؤمنين، ثم يسأله الجميع عن نفسه و من أنت بجمالك البهي الفائق العطر؟ فيقول: أنا ولاية آل محمد عليهم السلام» (2).

و من هذا المنزل يبدأ البرزخ حيث قال تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ

ص: 51

1- من لا يحضره الفقيه للصدوق 1: 185 ح 558

2- البحار 76: 97 ح 2

بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (1) وقد قال الصادق عليه السلام: ولكنِّي والله أتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة (2).

أعاذنا الله وجميع المؤمنين من أهواله بمنته وكرمه، وببركة شفاعته محمد وآل محمد عليهم السلام.

6 - القيامة

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أهوال القيامة: «و بالقيامة تُزلف الجنة، وتُبرز الجحيم للغاوين، وإنَّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى، قد شخصوا من مستقر الأحداث، وصاروا إلى مصائر الغايات، لكل دار أهلها،

لا يُستبدلون بها ولا يُنقلون عنها» الخطبة رقم: 156.

ويحدِّثنا عليه السلام ذلك اليوم قائلاً: «احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال ... وكان الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلت عنكم العلل، واستحقت بكم الحقائق، و صدرت بكم الأمور مصادرها» الخطبة رقم: 157.

وهي منزلة مهولة إذ لما ينفخ في الصور «ترهق كل مهجة، وتبكم

ص: 52

1- المؤمنون: 100

2- الكافي للكلييني 3: 243

كل لهجة، وتدلّ الشّمّ الشوامخ، و الصم الرواسخ، فيصير صلدها سراباً رقرقاً، ومعهدا قاعاً سملقاً، فلا شفيع يشفع، ولا حميم ينفع، ولا معذرة تدفع» الخطبة رقم: 195.

وقال عليه السلام: «انّ أمامكم عقبة كؤوداً، و منازل مخوفة مهولة، لابد من الورود عليها، و الوقوف عندها» الخطبة رقم: 204. «إذا رجفت الراجفة، و حقت بجلالها القيامة، و لحق بكلّ منسك أهله، و بكل معبود عبدته، و بكل مطاع أهل طاعته» الخطبة رقم: 222. «و اعلم انّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، و مشقة شديدة، و أنّه لا غنى بك فيه عن حسن الارتداد، و قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر» الكتاب رقم: 31.

و من الأهوال التي يواجهها الإنسان في هذا المنزل:

1- البعث من القبور وفتح الصُّور:

قال تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَاحِدَةً * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) (1)

في هذه العقبة المهولة تبعثر القبور، و يخرج الإنسان و تجتمع أجزاء جسمه من كل مكان، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حتى إذا تصرمت الأمور و تقصّت الدهور، و أزف النشور، أخرجهم من ضرائح القبور

ص: 53

وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، و مطارح المهالك سراعاً إلى أمره، معهطعين إلى معاده» الخطبة رقم: 82.

وقال عليه السلام: «حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر الله ما يريد من تجديد خلقه، أماد السماء وفطرها، وأرج الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضها بعضاً من هيبة جلالته و مخوف سطوته، وأخرج من فيها فجددهم بعد أخلاقهم، وجمعهم بعد تفريقهم» الخطبة رقم: 108.

وللهول هذه العقبة كان يبكي منها الإمام السجاد عليه السلام ويقول: «أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرّة عن يميني وأخرى عن شمالي، إذ الخلائق في شأن غير شأني، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة، وجوه يومئذ عليها غيرة ترهقها قفرة وذلة».

2- المحاسبة

قال الله تعالى (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) (1)

وهذه العقبة أيضاً من أشد العقبات، حتى ان أمير المؤمنين عليه السلام لما خانه أحد عماله خوفاً بيوم الحساب وكتب له: «أو ما تخاف نقاش

ص: 54

1- الأنبياء: 1

الحساب» الخطبة رقم: 41. وكتب عليه السلام إلى معاوية ينصحه: «وخذ أهبة الحساب» الكتاب رقم: 10.

وقال عليه السلام في وصف وقوف الناس للحساب: «رعيلاً صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، ويُسمعهم الداعي، عليهم لبوس الاستكانة، وضرع الاستسلام والذلة، قد ضلّت الحيل، وانقطع الأمل، وهوت الأفئدة كاظمة، وخشعت الأصوات مهينمة، وألجم العرق، وعظم الشفق، وأرعدت الأسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب، ومقايسة الجزاء، ونكال العقاب، ونوال الثواب» الخطبة رقم: 82.

وقال عليه السلام: «وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخريين لتقاس الحساب وجزاء الأعمال، خضوعاً قياماً قد أجمعهم العرق، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولنفسه متسعاً» الخطبة رقم: 101.

وقال عليه السلام: «ثم ميّزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء» الخطبة رقم: 108 ويشير عليه السلام إلى الدقة في الحساب ورعاية العدل والانصاف: «فلم يُجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء، ولا همس قدم في الأرض إلا بحقه، فكم حجة يوم ذاك داحضة، وعلائق عذر منقطعة» الخطبة رقم: 222

وهذه الدقة في الحساب تشمل جميع الأمور ولا تغادر شيئاً: «انّ

الله تعالى يُسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فان يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم»
الكتاب رقم: 27.

وقال عليه السلام: «القصاص هناك شديد، ليس هو جرحاً بالمدى، ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه» الخطبة رقم: 176.

3- الصراط:

من العقبات المهولة والمصيرية في القيامة عقبة الصراط، وهو آخر مرحلة من مراحل القيامة حيث منه الجواز إلى الجنة أو الوقوع في النار.
وكان من دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «و اكتب لي براءة من النار، و أماناً من العذاب و جوازاً على الصراط» و من دعاء الإمام الصادق عليه السلام: «وسلمني على الصراط، و أجزني عليه» (1).

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في تبين صعوبة الصراط وهوله: «واعلموا أنّ مجازكم على الصراط و مزالتق دحضه، و أهاويل زلله و تارات أهواله.»

الخطبة رقم: 82.

و من الأمور النافعة لجواز الصراط حب أهل البيت عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أثبتكم قدماً على الصراط أشدكم حباً لأهل

ص: 56

ومنها إسباغ الوضوء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أسبغ الوضوء تمر على الصراط مرّ السحاب»(2).

ومنها صلة الرحم وأداء الأمانة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حافتا الصراط يوم القيامة الأمانة والرحم، فإذا مرّ الوصول للرحم والمؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة»(3)

ومنها صلاة أول ليلة من رجب، وصيام ستة أيام من رجب، وزيارة الإمام الرضا عليه السلام حيث ورد عنه عليه السلام: «من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان»(4).

4- شهود يوم القيامة:

قال الله تعالى: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (5).

ص: 57

1- فضائل الشيعة للصدوق: 48

2- البحار 76: 4 ح 8

3- عدة الداعي لابن فهد: 81

4- الأمالي للصدوق: 106

5- النور: 24

وقال تعالى: (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ) (1).

وفي هذا المجال قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا عباد الله انّ عليكم رسداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم، وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، ولا يكتنكم منهم باب ذورتاج» الخطبة رقم: 157.

وقال عليه السلام: «أعضاؤكم شهوده، و جوارحكم جنوده، وضمايركم عيونه، و خلواتكم عيانه» الخطبة رقم: 199. و مضافاً إلى شهادة الجوارح فهناك من الملائكة الكرام ممن يحصي علينا أعمالنا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أسررت علمه، وإن أعلنتم كتبه، قد وكل بذلك

حفظه كراماً، لا يسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً» الخطبة رقم: 183.

و الله تعالى هو المحصي و الشاهد فوق كل هؤلاء، قال عليه السلام: «أحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفاسهم، و خائنة أعينهم وما تخفي

ص: 58

صدورهم من الضمير، ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات» الخطبة رقم: 89.

7- الاتعاظ بالآخرين أو الاعتبار منهم

وهذا أيضاً نمط آخر من أنماط الموعظة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان يقول: «السعيد من وُعظ بغيره» الخطبة: 85، وقال عليه السلام: «واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم» الخطبة: 32، وقال عليه السلام: «ووعظتم بمن قبلكم» الخطبة: 176.

ويتم الاتعاظ بالآخرين من خلال دراسة حالهم والوقوف عليها، والنظر فيما آل إليه أمرهم، قال عليه السلام: «واتعظوا فيها بالذين (قالوا مَنْ أَسَدٌ مِّنَّا قُوَّةً) حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبناً، و أنزلوا [الأحداث] فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصّ فبيح أجنان، و من التراب أكفان، و من الرّفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، و لا يمنعون ضيماً، و لا يبالون مندبَةً، إن جيدوا لم يفرحوا، و إن قحطوا لم يقنطوا، جميعٌ و هم آحاد، و جيرةٌ و هم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، و قرييون لا يتقاربون، حلماء قد ذهب أضعانهم، و جهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، و لا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، و بالسّعة ضيقاً، و بالأهل غربةً، و بالنّور ظلمةً، فجأؤوها كما فارقوها، حفاةً عراةً، قد طعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدّائمة و الدّار الباقية.

ص: 59

وقال عليه السلام: «واحدروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، واذموا الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحدروا أن تكونوا أمثالهم الخطبة: 192.

8 - التقوى

وقد أكثر أمير المؤمنين عليه السلام في موعظة الناس وتذكيرهم بالتقوى، فقد قال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وأبسكم الرِّياش، وأرفع لكم المعاش، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء، وأثركم بالنعم السوابغ، والرِّفد الرِّوافع، وأنذركم بالحجج البوالغ فأحصاكم عدداً وظف لكم مدداً في قرار خبرة، ودار عبرة أنتم مختبرون فيها، ومحاسبون عليها» الخطبة: 82

قال عليه السلام: «فانتقوا الله تقيّة من سمع فخشع، واقترب فاعترب، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعبر فاعتبر، وحذر فحذر، وزجر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتدى، وأري فرأى، وأسرع طالباً، ونجا هارباً، فأفاد ذخيرةً، وأطاب سريرةً، وعمّر معاداً، واستظهر زاداً ليوم رحيله ووجه سبيله وحال حاجته وموطن فاقته، وقدم أمامه لدار مقامه، فانتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له، واحدروا منه كنه ما حذركم من نفسه، واستحقوا منه ما أعد لكم بالتَّجَزُّ لصدق ميعاده والحذر، من هول معاده» الخطبة: 82.

قال عليه السلام: «فانتقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبّ شغل التّفكّر قلبه،

وأَنْصَبَ الخوفَ بدنَه، وأسهرَ التَّهَجُّدَ غرارَ نومِه، وأظمأَ الرِّجاءَ هواجرَ يومِه، وظلَّفَ الرِّهْدَ شهواتِه، وأوجفَ الدُّكْرَ بلسانِه، وقَدَّم الخوفَ لأمانِه، وتَنكَّبَ المخالَجَ عن وضحِ السَّبيلِ، وسلكَ أقصدَ المسالكِ إلى التَّهَجِّجِ المطلوبِ، ولم تقتله فاتلاتُ الغرورِ، ولم تعم عليه مشتبهاتُ الأمورِ، ظافراً بفرحةِ البشريِّ، وراحةِ التَّعميِّ، في أنعم نومِه، وآمن يومِه، قد عبرَ معبرَ العاجلةِ حميداً، وقَدَّم زادَ الآجلةِ سعيداً، وبادرَ من وجلِّ، وأكْمَشَ في مهلِّ، ورغبَ في طلبِّ، وذهبَ عن هربِّ، وراقبَ في يومِه غده، ونظرَ قدماً أمامَه» الخطبة: 82.

قال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزَّادُ وبها المعادُ، زادٌ مبلِّغٌ ومعادٌ منجِّجٌ، دعا إليها أسمعِ داعٍ، ووعاها خيرِ داعٍ، فأسمعِ داعيها، وفازِ داعيها، عباد الله إنَّ تقوى الله حمت أولياءَ الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته حتى أسهرت ليالِيهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الرِّاحةَ بالنَّصبِ والرِّيِّ بالظُّمأ، واستقربوا الأجلَ فبادروا العملَ، وكذَّبوا الأملَ فلا حظوا الأجلَ» الخطبة: 113.

قال عليه السلام: «وأوصاكم بالتَّقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه، فاتَّقوا الله الذي أنتم بعينِه، ونواصيكم بيده، وتقلِّبكم في قبضته إن أسررت علمه، وإن أعلنتم كتبه، قد وكلَّ بذلك حفظةً كراماً، لا يسقطون حقاً ولا يشبتون باطلاً واعلموا أنه من يتَّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظُّلم، ويخلِّده فيما اشتهدت نفسه، وينزله منزل

الكرامة عنده، في دارٍ اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه و نورها بهجته، وزوّارها ملائكته، ورفقاؤها رسله» الخطبة: 183.

قال عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله فإنّها حقّ الله عليكم، والموجبة على الله حقّكم وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فإنّ التقوى في اليوم الحرز والجنة وفي غدٍ الطريق إلى الجنة، مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ، لم تبرح عارضةً نفسها على الأمم الماضين منكم والغابرين لحاجتهم إليها غداً إذا أعاد الله ما أبدى وأخذ ما أعطى وسأل عمّا أسدى فما أقلّ من قبلها وحملها حقّ حملها أولئك الأقلون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) فأهبطوا بأسماعكم إليها، والظّوا بجدّكم عليها، واعتاضوها من كلّ سلفٍ خلفاً ومن كلّ مخالفٍ موافقاً، أيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وارضضوا بها ذنوبكم، وداووا بها الأسقام، وبادروا بها الحمام، واعتبروا بمن أضاعها ولا يعتبرنّ بكم من أطاعها، ألا فصونوها وتصونوا بها، وكونوا عن الدّنيا نّزاهاً وإلى الآخرة ولاهاً، ولا تضعوا من رفعته التقوى، ولا ترفعوا من رفعته الدّنيا» الخطبة: 191.

قال عليه السلام: «أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله الذي ابتداء خلقكم وإليه يكون معادكم، وبه نجاح طلبتكم، وإليه منتهى رغبتكم، ونحوه قصد سبيلكم، وإليه مرامي مفزعكم، فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم،

وبصر عمى أفندتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وظهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم، فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم ودخياً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم، ومنهلاً لحين ورودكم، وشفيعاً لدرك طلبتكم، وجنةً ليوم فزعكم، ومصايح لبطن قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم، فإن طاعة الله حرزٌ من متالف مكتنفةٍ، ومخاوف متوقّعةٍ، وأوار نيرانٍ موقدةٍ؟، فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها، واحلّولت له الأمور بعد مرارتها، وانفجرت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهمت له الصّعب بعد إنصابتها، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوظها، وتحدّبت عليه الرّحمة بعد نفورها، وتجرّرت عليه النّعم بعد نضوبها، وبلت عليه البركة بعد إرذاذها، فاتّقوا الله الذي نفعكم بموعظته، وعظكم برسالته، وامتّن عليكم بنعمته، فعبدوا أنفسكم لعبادته، وخرجوا إليه من حقّ طاعته» الخطبة: 198.

قال عليه السلام: «واعلموا عباد الله أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ولم يشاركوا أهل الدّنيا في آخرتهم، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدّنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ، والمتجر الرّابح، أصابوا لذّة زهد

الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا تردّ لهم دعوةً ولا ينقص لهم نصيبٌ من لذّة» الكتاب: 27.

9 - الطاعة و العبودية

وقد حثّ عليها أمير المؤمنين عليه السلام وبالغ في الموعظة بها، فقال فيما قال: «عباد الله انّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه» الخطبة: 85، وقال: فاتقوا الله عباد الله، وفرّوا إلى الله من الله، وامضوا في الذي نهجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم» الخطبة: 24 و كان ينادي عليه السلام ويقول: «أين القلوب التي وُهبّت لله، وعوقدت على طاعة الله» الخطبة: 144، ويقول: «أطيعوا الله ولا تعصوه» الخطبة: 167، وكذلك: «استتمّوا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله» الخطبة: 173.

وقال عليه السلام أيضاً: «فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم ودخياً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم، ومنهلاً لحين ورودكم، وشفيعاً لدرك طلبتكم، وجنّة ليوم فرعكم، ومصابيح لبطون قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم ونفساً لكرب مواطنكم، فإنّ طاعة الله حرز من متالف مكتنفة، ومخاوف متوقّعة، وأوار نيران موقدة» الخطبة: 198.

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر: «أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه و سننه التي لا يسعد أحد إلاّ باتباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها» الكتاب: 53.

وفي كتابه إلى الحارث الهمداني: «وأطع الله في جميع أمورك، فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها» الكتاب: 69

و للطاعة و العبودية مصاديق متعدّدة، وردت الإشارة إلى كثير منها في نهج البلاغة، وفيما يلي نشير إلى أهمها:

أ - الإخلاص، فقد كتب عليه السلام إلى بعض عمّاله: «أمره ألا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ، و من لم يختلف سرّه و علانيته، و فعله و مقالته، فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة» الكتاب: 26.

وفي عهده عليه السلام للأشتر: «وليكن في خاصة ما تخلص الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليالك ونهارك، ووفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم و لا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ» الكتاب: 53.

ب - الاستعانة بالله تعالى، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى الهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز» الكتاب: 31 وفي كتابه إلى محمد بن أبي بكر: «وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك، ويُعنعك على ما ينزل بك إن شاء الله» الكتاب: 34

ج - التحميد و التمجيد لله تعالى، قال عليه السلام: «أوصيكم أيها

الناس بتقوى الله، وكثرة حمده على آلائه إليكم، و نعمائه عليكم، وبلائه لديكم فكم خصّكم بنعمة، و تدارككم برحمة، أعورتكم له فستركم، و تعرّضتم لأخذه فأهلكم» الخطبة: 188.

د- الخشية والخوف من الله تعالى، قال عليه السلام: فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه، و اخشوه خشية ليست بتعذير» الخطبة: 23، و قال عليه السلام: «عباد الله أنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، و تجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، و أعدّ القرى ليومه النازل به فقربّ على نفسه البعيد، و هوّن الشديد...» الخطبة: 86، و قال عليه السلام: «إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله، و أن يحسن ظنّكم به فأجمعوا بينهما، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، و إنّ أحسن الناس ظناً بالله أشدّهم خوفاً» الكتاب: 27.

هـ- الصلاة، قال عليه السلام: «تعاهدوا أمر الصلاة و حافظوا عليها و استكثروا منها و تقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: (مَا سَأَلَكُمُ فِي سَعَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) و إنّها لتحتّ الذنوب حتّ الورق و تطلقها إطلاق الرّيق، و شبّهها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالحمة تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها في اليوم و اللّيلة خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن، و قد عرف حقّها رجالٌ من المؤمنين الّذين لا تشغلهم عنها زينة متاعٍ و لا قرّة عينٍ من ولدٍ و لا مالٍ، يقول الله سبحانه: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ

تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصيباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة، لقول الله سبحانه: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا، فَمَا كَانَ بِهَا أُمَّرًا عَلَيْهِمْ) الخُطْبَةُ: 199.

و كتب عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتَ لَهَا، وَلَا تَعْجَلْ وَقْتُهَا لِفِرَاقٍ، وَلَا تَوَخَّرْهَا عَن وَقْتِهَا لِاسْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِّنْ عَمَلِكَ تَبِعٌ لِّصَلَاتِكَ» الكتاب: 27.

و - الأعمال الصالحة، قال عليه السلام: «رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، ودعى إلى رشادٍ فدنا... قدّم خالصاً، وعمل صالحاً، اكتسب مذخوراً واجتنب محذوراً، ورمى غرضاً وأحرز عوضاً، كابر هواه وكذب مناه، جعل الصبر مطية نجاته، والتقى عدة وفاته، ركب الطريقة الغراء، ولزم المحجة البيضاء، اغتنم المهل، وبادر الأجل، و تزود من العمل» الخُطْبَةُ: 75.

قال عليه السلام: «فَاللَّهُ اللَّهُ مَعِشْرِ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، وَفِي الْفَسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلِقَ رِهَانُهَا، أَسْهَرُوا عَيْونَكُمْ، وَأَضْمَرُوا بَطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمَلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخَذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

حَسَّ نَأْفِضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) فلم يستنصركم من ذلِّ، و لم يستقرضكم من قلِّ، استنصركم و له جنود السَّمَاوَاتِ و الأَرْضِ و هو العزيز الحكيم، و استقرضكم و له خزائن السَّمَاوَاتِ و الأَرْضِ و هو الغنيّ الحميد، و إنما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره، رافق بهم رسله، و أزارهم ملائكته، و أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نارٍ أبداً، و صان أجسادهم أن تلقى لغوباً و نصباً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم، أقول ما تسمعون، و الله المستعان على نفسي و أنفسكم و هو حسبنا و نعم الوكيل» الخُطبة : 183.

قال عليه السلام في وصف المتقين: «لا يرضون من أعمالهم القليل، و لا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، و من أعمالهم مشفقون ... فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوَّةً في دينٍ ... يعمل الأعمال الصَّالِحَةَ و هو على و جلٍ» الخُطبة: 193.

قال عليه السلام: «عباد الله الآن فاعملوا، و الألسن مطلقَةً، و الأبدان صحيحةً، و الأعضاء لدنةً، و المنقلب فسيحٌ، و المجال عريضٌ، قبل إرهاب الفوت، و حلول الموت» الخُطبة : 196 .

قال عليه السلام: «تجهَّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، و أقلِّوا العرجة على الدنِّيا، و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الرِّاد، فإنَّ أمامكم عقبَةً كووداً و منازل مخوفةً مهولةً لا بدَّ من الورود عليها و الوقوف

عندها. واعلموا أنّ ملاحظ المنيّة نحوكم دانيّةً، و كأنّكم بمخالبتها وقد نشبت فيكم، وقد دهمتكم فيها مفضعات الأمور و معضلات المحذور. فقطّعوا علائق الدّنيا واستظهروا بزد التّقوى الخطبة : 204.

ز - المحاسبة، قال عليه السلام : «عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن، توزنوا وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا، وتنفسوا قبل ضيق الخناق،

وانقادوا قبل عنف السيّاق الخطبة : 89

قال عليه السلام في وصف الذاكرين: «فرغوا لمحاسبة أنفسهم... فحاسب نفسك لنفسك، فإنّ غيرها من الأنفس لها حسيبٌ غيرك» الخطبة : 221 .

قال عليه السلام : «من حاسب نفسه ربح، و من غفل عنها خسر، و من خاف أمن» قصار الحكم:198.

قال عليه السلام : «أيّها النَّاس تولّوا من أنفسكم تأديبها، و اعدلوا بها عن ضراوة عاداتها» قصار الحكم: 349 .

10 - ترك الذنوب والآثام

وقد بالغ عليه السلام أيضاً في ذلك، إذ يعدّ المكمل للطاعة والعبودية، قال عليه السلام : «ألا و أنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، و خلعت لجمها فتحمّت بهم في النار» الخطبة: 16 و قال عليه السلام : «احذروا الذنوب المورطة، و العيوب المسخطة» الخطبة: 82، و قال عليه السلام في ذكر يوم القيامة : «و أمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار، و غلّ الأيدي إلى

ص: 69

الأعناق، وقرن التواصي بالأقدام، و البسههم سراويل القطران، و مقطّعات النيران، في عذاب قد اشتدّ حرّه، و بابٍ قد أطبق على أهله في نارٍ لها كلبٌ و لجبٌ و لهبٌ ساطعٌ، و قصيفٌ هائلٌ، لا يطعن مقيمها، و لا يفادى أسيرها، و لا تقصم كبولها، لا مدّة للدّار فتفنى، و لا أجل للقوم فيقضى» الخطبة: 108

قال عليه السلام: «أتقوا معاصي الله في الخلوات، فإنّ الشاهد هو الحاكم» قصار الحكم: 315

قال عليه السلام: «احذر أن يراك الله عند معصيته و يفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين، و إذا قويت فاقو على طاعة الله، و إذا ضعفت فاضعف عن معصية الله» قصار الحكم: 373

و من الذنوب و المعاصي التي حدّر منها عليه السلام:

أ - الشرك، قال عليه السلام: «أما وصيّتي فالله لا تشركوا به شيئاً...» الخطبة: 149، الكتاب: 23.

قال عليه السلام: «إنّ من عزائم الله في الذّكر الحكيم التي عليها يثيب و يعاقب، و لها يرضى و يسخط، أنّه لا ينفع عبداً و إن أجهد نفسه و أخلص فعله، أن يخرج من الدنيا لاقياً ربّه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها: أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته...» الخطبة: 153

قال عليه السلام: «و اعملوا في غير رياءٍ و لا سمعةٍ، فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له» الخطبة: 76.

ص: 70

ب - أكل الحرام، قال عليه السلام : «ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنكم بعين من حرّم عليكم المعصية، وسهل لكم سبل الطاعة»
الخطبة: 151

وفي وصيته عليه السلام لعثمان بن حنيف: «فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبته عليك علمه فالفظه، و ما أيقنت بطيب و
جوهه فنل

منه» الكتاب : 45 .

ج - الكبير، قال عليه السلام «ضع فخرك ، واحطط كبرك» الخطبة : 153، وقال عليه السلام : واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما
تستعيذونه من طوارق الدهر، فلورخص الله في الكبر لأحدٍ من عباده لرخص فيه الخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التكابر و
رضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنتهم للمؤمنين، و كانوا قوماً مستضعفين»
الخطبة: 192.

د - الحسد ، قال عليه السلام : ولا تحاسدوا ، فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» الخطبة: 85.

هـ - الطمع ، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن : «وإيّاك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة» الكتاب: 31 .

وقال عليه السلام : «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع» قصار الحكم: 209.

ص: 71

و - الظلم، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم... و ظلم الضعيف أفحش الظلم»
الكتاب: 31.

وفي عهده عليه السلام للأشتر: «أنصف الله و أنصف النَّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، و من خصمه الله أدحض حجّته، و كان الله حرباً حتّى ينزع أو يتوب، و ليس شيءٌ أدعى إلى تغيير نعمة الله و تعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميعٌ دعوة المظلومين وهو للظّالمين بالمرصاد» الكتاب: 53 .

ز - العجب، وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «و اعلم أنّ الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب» الكتاب: 31.

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر: «وإيّاك و الإعجاب بنفسك، و الثّقة بما يعجبك منها، و حبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشّيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين» الكتاب: 53 .

ح - الغضب، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «و تجرّع الغيظ فإنّي لم أر جرعة أحلى منها عاقبة، ولا ألدّ مغبّة»
الكتاب: 31، وفي كتابه إلى الحارث الهمداني: «واكظم الغيظ، و تجاوز عند المقدرة، و احلم عند الغضب» الكتاب: 69.

ومن وصيته عليه السلام لابن عباس: «و إياك والغضب، فإنّه طيرة من الشيطان» الكتاب: 76.

ص: 72

ط - اتباع الهوى، قال عليه السلام : «أيُّها النَّاسُ إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى و طول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أما طول الأمل فينسي الآخرة» الخطبة: 42 .

قال عليه السلام : «عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم، و لا تنقادوا لأهوائكم» الخطبة: 104 .

قال عليه السلام : «فرحم الله امرأً نزع عن شهوته و قمع هوى نفسه، فإنّ هذه النفس أبعد شيءٍ منزعاً، وإنّها لا تزال تنزع إلى معصيةٍ في هوى» الخطبة : 176 .

و من كلام له عليه السلام مع هانئ بن شريح: «و اعلم أنّك إن لم تردع نفسك عن كثيرٍ ممّا تحبّ مخافةً مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثيرٍ من الضّرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، و لنزوتك عند الحفيظة واقعاً قامعاً» الكتاب: 56 .

3- المواعظ السياسية:

إشارة

تتلور مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام السياسية في كتبه و رسائله إلى أمرائه و جنوده، سيّما عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر حيث يحتوي على كثير من المواعظ و النصائح السياسية، و كان اهتمامه عليه السلام بهذا الجانب كثيراً لما حلّ بالأمة الإسلامية آنذاك من هنات نتيجة سوء فعل المتقدمين.

ص: 73

ومن أهم ما أكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في مواعظه ونصائحه السياسية لأمرائه وقادته ما يلي:

أ - العدل في السيرة

فقد كتب عليه السلام إلى عماله على الخراج: «فأنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنكم خزّان الرعيّة، ووكلاء الأُمّة، وسفراء الأُمّة، ولا تحسموا (1) أحداً عن حاجته، ولا تجبسوه عن طلبته الكتاب: 51 .

وكتب عليه السلام لمالك الأشر: «وأشعر قلبك الرّحمة للرعيّة، والمحبة لهم، واللفظ ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدّين، وإمّا نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزّلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، والي الأمر عليك فوقك، والله فوق من وّلاك، وقد استكفأك أمرهم، وابتلاك بهم» الكتاب: 53 .

وكتب عليه السلام إلى بعض أمرائه: «أما بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحقّ سواء، فإنّه ليس في الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله» الكتاب: 59.

ص: 74

1- لا تحسموا: أي لا تقطعوا

ب - المواساة

فقد كتب عليه السلام لمحمد بن أبي بكر لما ولاه مصر: «فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وأس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم» الكتاب: 27.

كما كتب عليه السلام إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، لحضوره مأدبة قوم حضر فيها الأغنياء، وأشار إليه بأن الحاكم لا بد وأن يواسي الناس بقوله: «أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش» الكتاب: 45.

ج - الاعتماد على أهل الطاعة

حيث كتب عليه السلام إلى بعض عماله: «واستغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإنّ المتكاره مغيبه خير من شهوده، وقعوده أغنى من نهوضه الكتاب: 4.

د - الاهتمام بالطبقة السفلى

فقد كتب عليه السلام لمالك الأشر: «ثمّ الله الله في الطبقة السّفلى من الّذين لا حيلة لهم، و المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزّمنى، فإنّ في هذه الطبقة قانعاّ ومعتراّ، واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كلّ بلدٍ، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلّ قد استرعت حقّه، فلا يشغلنك عنهم بطرّ، فإنّك لا تعذر بتضييع التّفاه لإحكامك الكثير المهمّ.

ص: 75

فلا تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون (1)، وتحقره الرّجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتّواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالاعذار إلى الله تعالى يوم تلقاه، فإنّ هؤلاء من بين الرّعيّة أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكلّ فأعذر إلى الله تعالى في تأدية حقّه إليه.

و تعهد أهل اليتيم وذوي الرّقة في السنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيلٌ، والحقّ كلّ ثقيلٌ، وقد يخفّفه الله على أقوامٍ طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم» الكتاب : 53 .

هـ - الستر على عيوب الناس

ففي عهده عليه السلام للأشتر: «وليكن أبعـد رعيتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعائب النّاس، فإنّ في النّاس عيوباً، الوالي أحقّ من سترها، فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها، فإنّها عليك تطهير ما ظهر لك، و الله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيتك. أطلق عن الناس عقدة كلّ حقدٍ، واقطع عنك سبب كلّ وترٍ، وتغاب عن كلّ ما لا يضح لك (2)، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ، فإنّ السّاعي غاشٌّ، وإن

ص: 76

1- تقتحمه: العيون: أي تزدرية النفوس فلا تقع عليه الأبصار

2- يضح: يظهر

و - الوفاء بالعهد

ففي عهده عليه السلام للأشتر: «وإن عقدت بينك وبين عدوِّك عقدةً، أو ألبسته منك ذمّةً، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمّتك بالأمانة، و اجعل نفسك جنةً دون ما أعطيت، فإنّه ليس من فرائض الله عزّوجلّ شيءٌ إلّا أشدّ عليه اجتماعاً، مع تفريق أهوائهم، و تشتيت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهد، و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بدمّتك، و لا تخيسنّ بعهدك، و لا تختلنّ عدوك، فإنّه لا يجترىء على الله إلّا جاهلٌ شقيٌّ.

و قد جعل الله عهده و ذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، و حريماً يسكنون إلى منعه، يستفيضون إلى جواره، فلا إدغال، و لا مدالسة، و لا خداع فيه، و لا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، و لا تعولنّ على لحن القول بعد التأكيد و التوثقة، و لا يدعوتك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحقّ، فإنّ صبرك على ضيقٍ ترجو انفراجه و فضل عاقبته، خيرٌ من غدرٍ تخاف تبعته، و أن تحيط بك من الله فيه طلباً، لا تستقيل فيها دنياك و لا آخرتك» الكتاب: 53 .

ز - الاهتمام بدماء الناس و أعراضهم

ففي عهده عليه السلام للأشتر: «إياك و الدماء و سفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيءٌ أدعى لنقمةٍ، و لا أعظم لتبعةٍ، و لا أحرى بزوال نعمةٍ، و انقطاع مدّةٍ، من سفك الدماء

بغير حقّها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك ممّا يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنّ فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطي وأفرط عليك سوطك [أو سيفك] أو يدك بعقوبة، فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقهم» الكتاب: 53.

د - العمل بالشدة واللين

فقد كتب عليه السلام إلى بعض عماله: «واخلط الشدة بضغث من اللين، وأرفق ما كان الفرق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة» الكتاب: 46.

ط - قضاء حوائج الناس

ففي عهد الأشر: «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، و تقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك و شرطك، حتّى يكلّمك متكلمهم غير متعتع، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن: «لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير متعتع».

ثمّ احتمل الخرق منهم والعي، ونحّ عنك الصّيق والأنف، ييسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنح في إجمال وإعذار. ثمّ أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها: منها إجابة عمّالك بما يعيا عنه كتابك، و منها إصدار

حاجات الناس عند ورودها عليك ممّا تخرج به صدور أعوانك) الكتاب: 53 .

ي - تفقّد أحوال الولاة و معاقبتهم عند الخيانة

ففي عهد الأشر: «وتحفّظ الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانةٍ اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثمّ نصبته بمقام المذلّة، ووسمته بالخيانة، وقلّدتها عار التّهمة» الكتاب: 53 .

4 - المواعظ الاجتماعية

إشارة

إنّ المواعظ الاجتماعية التي تطرق إليها أمير المؤمنين عليه السلام، تدور حول إصلاح الوضع الاجتماعي الذي لا بدّ أن ينهض به أبناء الشعب أنفسهم، وهي كما يلي:

أ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فقد قال عليه السلام:

قال عليه السلام: «وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنّما أمرتم بالنّهي بعد التّناهي» الخطبة: 104 .

قال عليه السلام: «فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلعن الله السّفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التّناهي» الخطبة: 192 .

ص: 79

وفي وصيته عليه السلام : «الا تركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيؤلى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم» الكتاب: 47

قال عليه السلام : «أيها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين» قصار الحكم : 363.

قال عليه السلام : «فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل الخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه و التارك بيده، فذلك متمسكٌ بخصلتين من خصال الخير ومضيّعٌ خصلةً، و منهم المنكر بقلبه و التارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من ثلاث وتمسك بواحدة، و منهم تاركٌ لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميّت الأحياء، وما أعمال البر كلّها والجهد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحرٍ لجيٍّ، وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجلٍ، ولا ينقصان من رزقٍ، وأفضل من ذلك كلّ كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائرٍ» قصار الحكم: 364.

ب - لزوم الجماعة

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «وألزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة فإنّ الشاذ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذة من الغنم للذئب» الخطبة: 127 .

وقال عليه السلام : «فياكم والتلّون في دين الله، فإنّ جماعة فيما تكروهون من الحق، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وإنّ الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى، ولا ممن بقي» الخطبة: 176.

وقال عليه السلام بعد ما ذكر الأمم السالفة: «إذا تفكرتم في تفاوت حالهم، فالزموا كل أمر لزمتم العزّة به حالهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية فيه بهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلمهم من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألفة، والتحصن عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسرفرتهم، وأوهن منّتهم، من تضاعن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي» الخطبة: 192.

ولا يفوت على القارئ الكريم بأنّ الواجب هو لزوم الجماعة الصالحة، كما نبهنا عليه وكما ورد في كلام الإمام عليه السلام، وإلا فلا طاعة للأشرار ولا لزوم لجماعتهم، كما قال عليه السلام منبهاً لذلك: «ولا تطيعوا الأعداء الذين شربتم بصفوكم كدرهم، و خلطتم بصحتكم مرضهم، وأدخلتم في حقكم باطلهم، وهم أساس الفسوق، وأحلاس العقوق، اتخذهم إبليس مطايا ضلال، و جنداً بهم يصول على الناس، و تراجمة ينطق على ألسنتهم» و كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل: أيّ الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حق عند إمام جائر» الخطبة: 192.

إذن الوصية بلزوم الجماعة لا تؤخذ على نحو الإطلاق.

قال عليه السلام: «أنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وأسننتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألمهم لشعته، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به» الخطبة: 23 .

وكتب عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «وأكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول» الكتاب: 31

وهذا ما التزم به أمير المؤمنين عليه السلام في سلوكه، فقد كتب إلى ابن عباس لما كان واليه على البصرة وسمع منه غلظة على بني تميم: «إنّ لهم بنا رحماً ماسة، وقراة خاصة، نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها» الكتاب: 18

طبعاً لزوم العشيرة لا يؤخذ أيضاً على إطلاقه، بل أنه مقيّد بالعشيرة الصالحة، وإلا فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاهدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فأنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهلية» الخطبة: 192 .

فالتقوى هنا تقتضى محاربة هكذا عشيرة، كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام حال المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «فلقد كتنا مع رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات، فما تزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً ومضيئاً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضمض الجراح» الخطبة: 121 .

وقال عليه السلام: «ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً و تسليماً، ومضيئاً على اللقم، وصبراً على مضمض الألم، وجدّاً في جهاد العدو» الخطبة: 55 .

د - التواصل

قال عليه السلام: «عليكم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع» الكتاب: 47، وهذا التواصل ومساعدة الآخرين ومعونتهم يوجب سعادة الإنسان في الدارين، فقد قال عليه السلام في شرح أفضل ما يتوسل الإنسان به إلى ربه وصنائع المعروف فإنّها تقي مصارع الهوان» الخطبة: 109.

وقال عليه السلام: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، التنفيس عن المكروب» قصار الحكم 20 .

وفي وصيته للحسنين عليهم السلام: «أوصيكمما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي: بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدكم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» الكتاب: 47 .

هـ - ضوابط الصداقة

وكيفية اتخاذ الصديق، وهي ظاهرة اجتماعية مهمّة، قال أمير المؤمنين في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «يا بني

إِيَّاكَ ومصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعلك فيضربك، وإِيَّاكَ ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإِيَّاكَ ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه، وإِيَّاكَ ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد و يبعد عليك القريب» قصار الحكم: 34 .

وقال عليه السلام: «لا تصحب المائق فإنه يزيّن لك فعله، ويودّ أن تكون مثله» قصار الحكم: 284 ، والمائق هو الأحمق.

وقال عليه السلام: «أحمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصلّة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدّته على اللين وعند جرمه على العذر، ... وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً» الكتاب: 31.

و - التحذير من الفتن

قال عليه السلام: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب» قصار الحكم 1 .

وقال عليه السلام: «وتتّبوا في قتام العشوة، و اعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومدار رحاها، تبدأ في مدارج خفيّة، وتتلو إلى فظاعة جليّة، شبابها كشباب الغلام، و آثارها كأثار السّلام، يتوارثها الظلمة بالعهود، أوّلهم قائد لآخرهم، و آخرهم مقتد بأوّلهم، يتنافسون في دنيا دنيّة، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأ التّابع من المتبوع والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون

عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف، والقاصمة الرّحوف، فتزيغ قلوبٌ بعد استقامةٍ، وتضلّ رجالٌ بعد سلامةٍ، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، و من سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اضطرب معمود الحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة وتنتطق فيها الظلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحليها، وترضّهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوجدان، ويهلك في طريقها الرّكبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدّماء، وتثلّم منار الدّين، وتنقض عقد اليقين، يهرب منها الأكياس ويدبّرها الأرجاس، مرعادٌ مبراقٌ، كاشفةٌ عن ساقٍ، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، برينها سقيمٌ وظاعنها مقيمٌ...»
الخطبة 151.

وقال عليه السلام في توضيح كيفية شروع الفتن: «إنّما بدء وقوع الفتن أهواءٌ تتبع وأحكامٌ تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضعفٌ ومن هذا ضعفٌ فيمزجان، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى» الخطبة: 50

إلى هنا انتهينا من هذا البحث، حيث ذكرنا أهم ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في الموعظة، و كما هو مثبت في كتاب نهج
البلاغة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله الطيبين الطاهرين.

ص: 86

محتويات الكتاب

تمهيد ...	5
أهمية الموعدة ...	7
ثمرة الموعدة ...	9
شرائط الواعظ ...	11
أسباب قبول الموعدة ...	14
موانع قبول الموعدة ...	16
نتيجة ترك الموعدة ...	19
أنماط الموعدة ...	20
1 - المواعظ العقائدية ...	20
2 - المواعظ الأخلاقية ...	23
الاسلام ...	24
القرآن الكريم ...	24
الدنيا ...	25
الموت ...	36
القبر ...	45
القيامة ...	52
الاتعاظ بالآخرين أو الاعتبار منهم ...	59
التقوى ...	60
الطاعة والعبودية ...	64
ترك الذنوب والآثام ...	69

المواعظ السياسية ... 73

العدل فى السيرة ... 74

المواساة ... 75

الاعتماد على أهل الطاعة ... 75

الاهتمام بالطبقة السفلى ... 75

الستر على عيوب الناس ... 76

الوفاء بالعهد ... 77

الاهتمام بدماء الناس وأعراضهم ... 77

العمل بالشدة واللين ... 78

قضاء حوائج الناس ... 78

تفقد أحوال الولاية ومعاقبتهم عند الخيانة ... 79

المواعظ الاجتماعية ... 79

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... 79

لزوم الجماعة ... 80

لزوم العشيرة ... 82

التواصل ... 83

ضوابط الصداقة ... 83

التحذير من الفتن ... 84

محتويات الكتاب ... 87

ص: 88

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩